مختارات من الخطب المنبرية الرمضانية

من فضائل شهر رمضان

لمعالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

من فضائل شهر رمضان(١)

الحمد لله يخلق ما يشاء ويختار، وأشهد أن لا إله إلَّا الله الواحد القهار، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله المصطفى المختار، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، المهاجرين منهم والأنصار، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بعد:

أيُّها النَّاس: اتقوا الله تعالى، عباد الله، إنَّكم الآن في شهر عظيم وموسم كريم، إنَّه شهر رمضان الَّذي خصَّه الله من بين الشُّهور بفضائل عظيمة منها: أن جعل صيامه أحد أركان الإسلام، ولم يرخص في الإفطار إلَّا لمسافر أو مريض، على أن يقتضي كلّ منهما عدد الأيام الَّتي أفطرها منه من شهر آخر، قال تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وكذلك أباح الفطر فيه للكبير الهرم الَّذي لا يستطيع الصِّيام، ومثله المريض مرضًا لا يرجى شفاؤه، ولا يستطيع معه الصِّيام على أن يطعم بدل كلّ يوم أفطره مسكينًا، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٤]، مما يدل على عظمة هذا الشَّهر، وأنَّه لا يسمح بترك صومه إلَّا إلى بدل، وإذا كان ذلك لعذر شرعي، ومن خصائص شهر رمضان المبارك مشروعية صلاة التراويح فيه جماعة في المساجد، قال النَّبي ﷺ: «مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»(٢)، وهي سنَّة مؤكدة سنَّها رسول الله ﷺ وأجمع عليها المسلمون، لا ينبغي للمسلم تركها؛ لأنَّه يحرم نفسه من ثوابها وهو بحاجة إليه.

ومن فضائل شهر رمضان: أنَّه تضاعف فيه الأعمال الصَّالحة، فالفريضة الواحدة فيه عن سبعين فريضة فيما سواه، والنَّافلة فيه تعادل الفريضة في الأجر.

---

(١) ينظر/ الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للمؤلف (١/ ٣٠٥-٣٠٨).

(٢) سبق تخريجه.

ومن فضائله: إنزال القرآن العظيم فيه، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[البقرة: ١٨٥].

وقد صحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: «أُنْزِلَ القُرْآن جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوحِ المَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ العزة فِي السَّماء الدُّنيَا فِي شَهْرِ رَمَضَان، ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مُنَجَمًا حَسَب الوَقَائع» فهذا حدث عظيم اختص به هذا الشَّهر ومدحه الله به لندرك فضله، ونستفيد من ذكراه بكثرة الطَّاعة في هذا الشَّهر، حيث أنزل فيه أعظم كتاب على أعظم نبي لهداية البشرية، وبيان طريق الخير من طريق الشَّر؛ لتأخذ الطَّريق السليم الموصل إلى جنات النَّعيم، وتترك الطَّريق الموصل إلى الجحيم.

ومن فضائل شهر رمضان المبارك: أن فيه ليلة القدر الَّتي نوه الله بشأنها وأخبر أنَّها خير من ألف شهر لمن وفق للعمل الصَّالح فيها، فهي تعادل ثلاثة وثمانين عامًا يقضيها المسلم بالطَّاعة والعمل الصالح إنَّه لفضل عظيم، وهذه اللَّيلة لا شك أنَّها في شهر رمضان؛ لأنَّ الله أخبر أنَّه أنزل فيها القرآن، وقد أخبر أنَّه أنزل القرآن في شهر رمضان، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[القدر: ١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[الدخان: ٣]، وقال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[البقرة: ١٨٥].

فإذا جمع بين الآيات الكريمة تبيّن أنَّ القرآن أنزل في ليلة القدر في شهر رمضان المبارك، فكان هذا الشَّهر مشتملًا على هذه اللَّيلة العظيمة الَّتي تعادل في الخير عمرًا طويلًا يستنفذ في الطَّاعة، وقد أخبر النَّبي ﷺ أنَّ هذه اللَّيلة في شهر رمضان وكان يتحراها فيه ويجتهد في قيام اللَّيالي الَّتي تُرجى فيها ويعتكف أيامها، وكان صحابته الكرام يقتدون به في ذلك.

ومن فضائل شهر رمضان: أنَّ الله نوع فيه الخيرات، فهو شهر أوَّله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النَّار.

فالرَّحمة للمحسنين المتقين، والمغفرة للمذنبين المفرطين، والعتق لمن استوجب دخول النَّار بارتكاب الكبائر، وذلك لاختلاف أحوال المسلمين فمنهم المحسن، ومنهم المذنب، ومنهم المستوجب

لدخول النَّار، وكلّ من هؤلاء يناله من فضل هذا الشَّهر ما يناسبه، فالمحسن تناله فيه الرَّحمة، والمذنب تناله المغفرة إذا تاب من ذنبه، والمستوجب لدخول النَّار يناله الاعتناق منها إذا تاب إلى ربِّه، ولن يخرج أحد من المسلمين عن هذه الأقسام الثَّلاثة.

ومن فضائل هذا الشَّهر: أنَّه شهر الصَّبر، كما سماه بذلك النَّبي ﷺ، والصَّبر حبس النَّفس، وهو ثلاثة أنواع: حبس النَّفس على طاعة الله، وحبسها عن محارم الله، وحبسها عن الجزع من أقدار الله المؤلمة، وكلّ هذه الثَّلاثة تجتمع في الصِّيام الَّذي أوجبه الله في هذا الشَّهر، ففيه حبس النَّفس على طاعة الله بالصِّيام، وحبسها عما حرَّم الله على الصَّائم في أثناء الصِّيام من الشَّهوات، وحبسها عن الجزع مما تلاقي في الصِّيام من الجوع والعطش وضعف النَّفس والبدن، وقد مدح الله الصَّبر في كتابه الكريم ووعد الصَّابرين بالثَّواب العظيم، فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[الزمر: ١٠]، وأخبر النَّبي ﷺ عن الله عزَّ وجلَّ أنَّه يَقُولُ: «**الصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، إِنَّهُ تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَشُرْبَهُ مِن أَجْلِي**»[٣] كما أخبر أنَّ رائحة أنفاس الصَّائم، وإن كانت متغيرة مستكرهة عند النَّاس، فهي «**أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِن رِيحِ المِسْكِ**» لأنَّها نشأت عن طاعته والصَّبر في سبيله، فهي ناشئة عن الصَّوم والصَّبر عليه.

ومن فضائل هذا الشَّهر: أنَّه تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وذلك بسبب إقبال المسلمين فيه على طاعة ربِّهم وتقربهم إليه بالأعمال الصَّالحة، وتركهم للمعاصي وابتعادهم عنها؛ فهو فرصة هيأها الله لعباده لطلب الجنَّة، والبُعد عن النَّار، ومن خصائص رمضان: أنَّه تُغل فيه الشَّياطين، فلا يتمكنون من إفساد أعمال المؤمنين وإغرائهم بالمعاصي؛ ولهذا تقل المعاصي في شهر رمضان بشكل ملحوظ نتيجة لمنع الشَّيطان من مزاولة إضلال العباد، ففي هذا الشَّهر المبارك انتصار المسلمين الصَّائمين على عدوهم الشَّيطان وتخليصهم من أسره، وقد يكون خلاصًا للأبد.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري برقم(٧٤٩٢) ومسلم (١١٥١).

أيُّها المسلمون: لقد أوصانا النَّبيّ ﷺ في هذا الشَّهر أن نَسْتَكْثِرَ مِن: «أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَصْلَتَانِ تُرْضِي بِهِمَا رَبَّنَا وَخَصْلَتَانِ لَا غِنَى بِكُمْ عَنْهُمَا، أَمَّا الخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ تُرْضِي بِهِمَا رَبَّنَا، فَشَهَادَةُ: أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَالاسْتِغْفَارُ، وَأَمَّا الخَصْلَتَانِ اللَّتَانِ لَا غِنَى لَنَا عَنْهُمَا، فَنَسْأَلُ اللهَ الجَنَّةَ، وَنَعُوذُ بِهِ مِن النَّارِ»(٤).

عباد الله، من مرَّ عليه هذا الشَّهر، ولم يستفد منه مغفرة ذنوبه وتكفير خطاياه، فهو عبد شقيٌّ بعيد من الله، فقد صَعِدَ النَّبيّ ﷺ المِنْبَرَ فَقَالَ:«آمِينَ آمِينَ، آمِينَ» قَالُوا: عَلَامَ أَمَّنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «جَاءَنِي جِبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا محمَّد رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ دَخَلَ عَلَيْهِ شَهر رَمَضَان، ثُمَّ خَرَجَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأَدْخَلَ الله النَّار، فَأَبْعَدَه الله، قُلْ: آمِين؟ «فَقُلْتُ :آمِين»(٥) الحديث .

فمن الأشقياء من لا يكف عن المعاصي في هذا الشَّهر، ولا يشعر له بحرمة ولا ينتبه لإنقاذ نفسه من النَّار، ومنهم من يترك المعاصي في هذا الشَّهر تركًا مؤقتًا، لا ترك توبة وندم؛ بل في عزمه ونيته مزاولة المعاصي، فهذان إنَّما يزيدان بدخول رمضان بُعدًا من الله، وهما سائران في طريقهما إلى النَّار، إن لم يتوبا، وأمَّا المؤمن الَّذي انتبه لنفسه وتاب إلى الله في هذا الشَّهر توبة صادقة، واستدرك أمره، فاستغل خيرات هذا الشَّهر، فهو الَّذي يحصل على خيرات هذا الشَّهر، فيكون ممن صام الشَّهر، واستكمل الأجر، وفاز بجائزة الرَّب.

جعلنا الله، وإيَّاكم من هؤلاء إنَّه جوادٌ كريمٌ، أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨].

واعلموا أنَّ خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديٌّ محمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها،وكلّ بدعة ضلالة،وعليكم بالجماعة، فإنَّ يد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النَّار.

ثُمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بأمر عظيم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦] اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدِك ورسولِك نبيِّنا محمَّد،

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

وارضَ اللَّهُمَّ عن خُلفائِه الرَّاشدين، الأئمة المهديين، أبي بكرٍ، وعمرَ، وعثْمَانَ، وعليٍّ، وعَن الصَّحابة أجمعين، وعن التَّابِعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذل الشِّرك والمشركين، ودمر أعداء الدِّين، واجعل هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا، وسائر بلاد المسلمين، يا ربّ العالمين.

اللَّهُمَّ بارك لنا في شهر رمضان، اللَّهُمَّ أرزقنا فيه القوة، والاحتساب، العمل الصَّالح، اللَّهُمَّ أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللَّهُمَّ ارزقنا من فضائله ومغانمه ما يسرته لنا، اللَّهُمَّ أعنَّا على صيامه وقيامه وحفظ أيامه من الخلل والضياع: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٢].

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا واجعلهم هداة مهدين غير ضالين ولا مضلين، اللَّهُمَّ أصلح بطانتهم، وأبعد عنهم بطانة السُّوء والمفسدين يا رب العالمين.

عبادَ الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل:٩٠، ٩١] فاذكروا اللهَ يذكُرْكم، واشكُروه على نعمِه يزِدْكم، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥].



